فلسطين كمفارقة أخلاقية بين المسيحية الشرقية والمسيحية الغربية

نتالي سلامة

في الوقت الذي دعمت المسيحية الغربية قيام دولة «إسرائيل»، كتحقيق لنبوءات «العهد القديم»، ولأحقية يهود العالم بفلسطين على أساس «الوعد الإبراهيمي» الغيبي، لم يكن هذا الوعد، من منظور الفلسطينيين الأصلانيين، من مسيحيين وغيرهم، سوى غزو صهيوني استعماري استيطاني، سرق أرضهم، وطرد شعبهم، وقطع مسار تطور هويتهم الوطنية. ولذا، تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الصور المتناقضة لفلسطين في المخيال المسيحي، وذلك من خلال المقارنة بين المفهمة العالمية لفلسطين المتمثلة بخطاب المسيحية الغربية (الممركزة أوروبياً)، وبين المفهمة المسيحية الشرقية (الممركزة عربياً) في الخطاب الوطني المسيحي الفلسطيني بشأنها. وعلى الرغم من أن هذه الدراسة لا تسعى لتناول التاريخ المقارن بين المسيحية الغربية والمسيحية الشرقية، فإنها تسعى للتصدي لهيمنة خطاب المسيحية الغربية عن فلسطين، وذلك من خلال استعادة أصوات الأصلانيين المسيحيين، وتبيان الكيفية التي تصدى بها خطابهم ضمن الحركة الوطنية الفلسطينية لهذا الخطاب المهيمن عالمياً، وخصوصاً منذ انتفاضة الحجارة في سنة 1987، ومن ثم إطلاق «وثيقة كايروس – وقفة حق من أجل فلسطين» في سنة 2009.

STUDENTS-HUB.com

1. مقدمة

تناولت أدبيات كثيرة تقديس الاستعمار ومعايشته كأسطورة حضارية في المشاريع الاستعمارية، وأخذت عناوينها من الخطاب الاستعماري الذي استمد من البعد الديني عقيدة الاختيار الإلهي، والتفوق العرقي، والاستعلاء الثقافي. وقد خُصّصت مجموعة من هذه الأدبيات لتحليل النصوص الدينية وتفسيرها وبحث استخداماتها لتشريع الاستعمار مستنتجة أن «أجزاء كثيرة من التوراة، ومن (سفر التثنية) بصورة خاصة، تحوي عقائد مخيفة، وميولاً عنصرية وكراهية للغرباء، ودعماً للقوة العسكرية.»[1] بينما قدمت مجموعة أدبيات ثانية تفسيرات وتأويلات جديدة لتلك النصوص، منها مثلاً، أن يهوه ذاته «الذي يصلي ويتعبد له ما يزيد على الثلث من سكان هذا الكوكب، ليس [هو] الله.»[2] وناقشت مجموعة ثالثة من الأدبيات، مركزية استخدام الخطاب الاستعماري لعقيدة «الاختيار الإلهي» التي شرعنت إبادة السكان الأصليين في عدد من المشاريع الاستعمارية، وبيَّنت كيف استمد الغزاة الإنكليز على سبيل المثال، «كل أخلاق إبادة الهنود (وغير الهنود أيضاً) من هذا التقمّص التاريخي لاجتياح العبرانيين أرض كنعان. كانوا يقتلون الهنود وهم على قناعة بأنهم عبرانيون فضّلهم الله على العالمين وأعطاهم تفويضاً بقتل الكنعانيين.»[3] وفي حين أكدت تلك الأدبيات التشابه التام في السياسة الاستعمارية التي نُفّذت في أميركا، ولاحقاً في فلسطين، إلاّ إنها حدَدت تبايناً في نتائج النموذجين الاستعماريين سببه «مقاومة ورفض الفلسطينيين للتساوي مع المصير الذي آل إليه الهنود.»[4]

وعلى الرغم من حقيقة وجود تمازج عقائدي بين المسيحية والاستعمار، فإنه من المهم كذلك أن نعي أن هذا التمازج قد لا يجد مثيلاً له في أماكن أُخرى من العالم، وخصوصاً، المكان الذي انطلقت منه المسيحية، وهو قلب الشرق: فلسطين. وهنا، ينبّهنا سميح غنادري إلى أن «المسيحية ليست نبتة غربية في هذا الشرق، وإنما [هي] نبتة أصلانية»،[5] مشدّداً على أن «للسيد المسيح جغرافيا وللمسيحية جغرافيا ولهما تاريخ، ولا يمكن فصل هذا التاريخ وهذه الجغرافيا عن

STUDENTS-HUB.com

الشرق، وعن فلسطين خصوصاً، وعن بلاد الشام عموماً.»[6]

وعلى الرغم من تباين تأويل الدين باختلاف الأزمنة التاريخية، فإن هذه الدراسة لا تُعنى بدراسة اختلاف المسيحية تاريخياً، بل تتخذ من الجغرافيا موقعاً لتعيين هذا الاختلاف، الذي يبلغ حدَّ التضاد، بين المسيحية الغربية والمسيحية الشرقية، والكشف عن الصور المتناقضة لفلسطين في المخيال المسيحي العام. وتعمل الدراسة على ذلك من خلال المقارنة بين المفهمة العالمية لفلسطين والمتمثلة بخطاب المسيحية الغربية (الممركزة أوروبياً)، وبين المفهمة المسيحية الشرقية لفلسطين (الممركزة عربياً)، وكما تبدو في الخطاب الوطني الفلسطيني على نحو خاص. وتهدف هذه الدراسة إلى التصدي لهيمنة خطاب المسيحية الغربية عن فلسطين، وذلك من خلال الإضاءة على التجربة المعاصرة للمسيحيين الفلسطينيين، بدءاً من انتفاضة الحجارة في سنة 1987، ومروراً بإطلاق «وثيقة كايروس – وقفة حق من أجل فلسطين» في سنة 2009، وانتهاءً باللحظة الراهنة. فمع أن النص الديني، وتعني به الدراسة «الكتاب المقدس» بعهديه القديم والجديد، يجمع بين المسيحية الغربية والمسيحية الشرقية، إلاّ إن التجربة التاريخية والخطاب السياسي الذي يرافقها، يفرّق بينهما. إذ في حين تقرأ المسيحية الغربية، التي جرت صهينتها، بعيون «الإسرائيليين» ولعيونهم، فإن المسيحيين الفلسطينيين يقرأون كتابهم المقدس بعيون أصلانية، وينتجون تفسيراً للنص ينزع عنه الطابع الاستعماري الغربي.

ولذا، تنقسم هذه الدراسة إلى ثلاثة محاور رئيسية: يتناول المحور الأول مفهمة فلسطين كمكان جغرافي اصطدمت فيه المسيحية الاستعمارية الغربية بالمسيحية الفلسطينية الأصلانية، بصفتها صاحبة الأرض ووجهة الرسالة. وبينما يسعى المحور الثاني لدراسة خطاب اللاهوت الفلسطيني كخطاب مضاد للمسيحية الاستعمارية وللصهيونية المسيحية، يدرس المحور الثالث «وثيقة وقفة حق كايروس من أجل فلسطين» التي صدرت في سنة 2009، كأبرز تجليات التضاد بين المسيحية الغربية المُصهينة والمسيحية الشرقية التحررية.

وتطرح هذه الدراسة إطاراً لمفهمة فلسطين كحالة مفارقة، كون فلسطين،

STUDENTS-HUB.com

كمكان جغرافي، قد التقت فيها وعلى نحو تصادمي المسيحية الاستعمارية الغربية بالمسيحية الشرقية. وفي الوقت الذي دعمت المسيحية الغربية قيام دولة الاستعمار الاستيطاني («إسرائيل») كتحقيق لنبوءات «العهد القديم»، ولمزاعم أحقية يهود العالم بفلسطين على أساس «الوعد الإبراهيمي»، لم يكن تحقق هذا الوعد من منظور المسيحيين الفلسطينيين سوى غزو صهيوني سرق أرضهم، وطرد شعبهم، وقطع مسار تطور هويتهم الوطنية والقومية. وبصيغة أعم، يمكن القول إن ما نظرت إليه المسيحية الغربية على أنه تحقيق لنبوءة الكتاب «المقدس»، عدَّته المسيحية الشرقية تحقُّقَ النكبة التي سُلبت فيها أرض فلسطين وهُجِّر شعبها.

لقد انحرفت المسيحية الغربية عن أصل الديانة المسيحية الشرقية وجوهرها، ولم تستطع كلمة المسيح الفلسطيني – الذي يدعو إلى المحبة والسلام والتسامح ولا يعترف بحدود القبيلة، والذي استبدل ملكوت الأرض بملكوت السماوات – أن تغيّر روح العنصرية الغربية التي علمنت المسيحية وحولتها إلى عقيدة استعمارية. وفي حين حصرت أغلبية الأدبيات علاقة أوروبا المسيحية بآخرها الاستيهامي، المسلم تارة واليهودي تارة أُخرى، فإن هذه الدراسة تبرز آخرَ ثالثاً هو المسيحي المشرقي الذي استبعدته أوروبا وهمّشت وجوده، بينما عمل هو من موقع المضطَهد والمقهور على إعادة تشكيل ذاته المسيحية الفلسطينية الشرقية، في إطار هوية وطنية مقاوِمة، مميزاً مسيحية أوروبا الغربية، كآخر له وكنقيض لمسيحيته التحررية.

تستفيد هذه الدراسة من التنظيرات السائدة لسياسات الهوية التي بزغت في شكلها الحالي من أوروبا الاستعمارية، ولا سيما مقولات جيل أنيجار التي درست حصر الآخرين، بالنسبة إلى أوروبا، في المسلم تارة وفي اليهودي تارة أُخرى. فقد حفر أنيجار في مختلف كتاباته، وبصورة خاصة في كتابه «اليهودي العربي: تاريخ العدو» تاريخياً بقصد تعيين اللحظة التي ادَّعت أوروبا فيها تخلّيها عن الدين كمحرّك سياسي ظاهر، وتبنّيها العلمانية، طارحاً أنها اللحظة التاريخية ذاتها التي اكتشفت فيها الدين في الشرق، إذ لجأت أوروبا المسيحية ابتداءً من سنة 1492، إلى إعادة ترتيب علاقتها بالآخر الديني، وتمّت من وقتها صناعة العداوة وتعريف

STUDENTS-HUB.com

العلمنة من منطق الاستعمار نفسه. وبذا، فقد سعت تقسيمة أوروبا للعالم لتثبيت هوية علمانية لذاتها ظهر من خلالها «اليهودي» كعدو لاهوتي، وظهر «المسلم» كعدو سياسي، وتم نزع الأول عن هويته العربية، بينما جرى تثبيت الآخر في تلك الهوية، وفي غيرها أنَّى لزم ذلك.[7]

ولذا، فإن أطروحة أنيجار تستند إلى موقع اليهودي العربي في السياق المسيحي الأوروبي بصورة خاصة، والغربي بصورة عامة، على أن أساس هذا التقسيم مرتب في شرعنة وجود الذات، من خلال شرعنة رفض الآخر. وفي الحقيقة، لا تُعتبر أطروحة أنيجار مجرد نظرية نقدية جديدة للعلاقة بين الأديان الثلاثة فحسب، بل هي تتجاوز ذلك، لتشكل تحولاً معرفياً في المشهد الفكري للعلاقات المتشابكة والمركبة بين العناصر الثلاثة أيضاً: الأديان والاستعمار والعلمنة.[8] لكن، ومن منطلق التوافق مع النقد العميق في نظرية العلمنة الذي أسس له أنيجار كلحظة تاريخية، لصناعة العدو، فإن السؤال الذي تطرحه هذه الدراسة هو: هل يمكن لسياسات شرعنة الذات ورفض الآخر، أن تحدث داخل حدود الدين ذاته، كالمسيحية مثلاً في العالم المسيحي في الغرب والمسيحية الأم التي في الشرق؟

لقد حصر معظم الدراسات علاقة أوروبا المسيحية بآخرها، في المسلم تارة وفي اليهودي تارة أُخرى. واللافت في الأمر، أنه في الوقت الذي تنطلق منه تلك الأدبيات، كمجهود معرفي يتصدى للرواية الممركزة غربياً، إلاّ إنها تساهم، من حيث لا تدري أحياناً، في إعادة إنتاج تلك الثنائية وتعزيزها. ومن هنا، فإن هذه الدراسة تجادل في أن أي سردية لعلاقة أوروبا بآخرها، تستبعد أو تتجاهل المسيحية الشرقية – والتي هي «في منشأها التاريخي ورسالتها الأولى لم تكن إلاّ نداً رسالياً وحضارياً للكهنوت اليهودي المحافظ، وندا سياسياً للاحتلال الروماني لأرض فلسطين» –[9] إنما تُعيد، بشكل أو بآخر، إنتاج السردية التاريخية الاستعمارية الغربية. وفي حين طرحت الدراسات السابقة سؤال مَن هو، ومتى تحدَّد، الآخر بالنسبة إلى أوروبا، فإن هذه الدراسة، تطرح السؤال المتمم، وهو: ما هي الأنا الحضارية التي ميَّزت نفسها، بوضع أوروبا آخرَ لها من حيث نسبة الأولانية

STUDENTS-HUB.com

الدينية للمسيحية؟

وعلى ذلك، من رحم الصراع لا من خارجه، تضيف هذه الدراسة إلى أطروحة أنيجار عن علاقة أوروبا المسيحية بآخرها (اليهودي والمسلم)، آخرَ ثالثاً، استبعدته أوروبا وأنكرت وجوده، بينما عمل هو من موقع المضطَهد والمقهور – ابتداءً بالحروب الصليبية، ومروراً بالاستعمار الأوروبي للمنطقة، وانتهاءً بالإمبريالية الغربية، والإنكليزية منها بصورة خاصة ومن ثم الأميركية، ودعمها لتأسيس دولة «إسرائيل» على أرض فلسطين وحمايتها حتى اللحظة الراهنة – على إعادة تشكيل ذاته المسيحية، فلسطينياً ومشرقياً، في مقابل مسيحية العالم الغربي الاستعمارية.

2. فلسطين والمسيحية الشرقية

لقد نشأت التقسيمات الطائفية في الحياة السياسية الفلسطينية منذ العقد الثالث من القرن العشرين عندما وقعت فلسطين تحت الانتداب الاستعماري البريطاني. وفي سياق الحكم الإمبراطوري، سعت بريطانيا، استناداً إلى تجربتها في استعمار الهند، لإعادة إنتاج نظام المِلل، وتثبيت كل من «المسلم» و«المسيحي» كصنافيَّتين سياسيَّتين متعارضتين، في محاولة لتصوير ذاتها، كوسيط مهم وحيوي بين «الأعداء الدينيين» في فلسطين.[10]

وعلى العكس من سياسات التقسيم الاستعمارية التي حاولت ترسيخ الطائفية في المجتمع الفلسطيني، جاءت كتابات الفلسطينيين المسيحيين لتؤكد تصور هويتهم الدينية كجزء لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني. فهم ينظرون إلى أنفسهم كجزء أصيل من هوية العالم العربي وعمقه الحضاري الإسلامي. ولم يكن الحضور المسيحي في فلسطين مجرد تعبير عن الوجود الفيزيائي الذي يُرصد بالإحصاءات، ولم يكن كذلك مجرد وجود لأقلية مجتمعية سقف مطامحها احترام دينها وحرية عبادتها والحفاظ على كنائسها. بل كان أيضاً حضوراً ممتداً منذ فجر المسيحية، قبل ألفي عام، وهو كذلك حضور سياسي واقتصادي واجتماعي يقوم على أساس وحدة المسيحيين مع بقية أبناء الشعب الفلسطيني في القضية والمصير.[11]

STUDENTS-HUB.com

لقد شملت نكبة فلسطين سنة 1948، التي تسببت بها الحركة الصهيونية، بصفتها حركة استعمار استيطاني مدعومة من القوى الاستعمارية، وبصورة خاصة الاستعمار الانتدابي البريطاني، التكوينات الاجتماعية داخل المجتمع الفلسطيني جميعها، والتي تضم الهويات الدينية الفلسطينية من مسلمين ومسيحيين ويهود غير مستوطنين،[12] وتشمل كذلك الهويات الإثنية من الأرمن والشركس والسريان. وقد واجهت هذه الهوية الفلسطينية محاولات الاقتلاع منذ بدايات القرن العشرين، وذلك على امتداد الصراع مع المشروع الصهيوني الذي استهدف، ولا يزال الوجود المادي والثقافي والسياسي للشعب الفلسطيني ومكونات هويته.[13] ومنذ النكبة، أصبح المكوّن المسيحي في الهوية الفلسطينية يواجه تحدياً خاصاً يتمثل بكون التراث الميثولوجي لـ«إسرائيل»، كما يتم تصويره غربياً، جزءاً من التراث الديني المسيحي. وقد فُرض على المسيحية الشرقية أن تتعامل مع حقيقة أن جزءاً من كتابها الديني المقدس، وهو «العهد القديم»، جرى تجنيده وصهينته ليشغل موقعاً مركزياً في استعمارها واضطهادها على امتداد عقود «النكبة المستمرة» للشعب الفلسطيني، كما وصفها إلياس خوري.[14]

يُقرأ «الكتاب المقدس»، بعهديه القديم والجديد، في كنائس فلسطين وبيوتها، ويُعتبر أساس الإيمان المسيحي ومرجعيّته، إلاّ إنه وبعد قيام «إسرائيل»، وجد الفلسطينيون المسيحيون «أن الكتاب الذي طالما كان مصدر عزاء لهم [....] تحول بغتة إلى كتاب يقلقهم ويربكهم، بل ويبرر الظلم الذي لحق بهم، ويجمل الجريمة التي ارتكبت بحقهم.»[15] وفي هذا المقام، يطرح اللاهوتيون من أصحاب هذا الرأي في كتاباتهم مجموعة من الأسئلة التي تؤرق مسيحيي فلسطين، الأسئلة التي كانوا يطرحونها باستمرار، ويوجزها الأب منذر إسحق بالقول: «كيف نقرأ المزامير عن صهيون بعد أن ارتبط اسم صهيون الآن بحركة اقتلعتنا من أرضنا وشكّكت بأحقيَّة وجودنا على هذه الأرض؟ وكيف نقرأ عن يشوع وتدمير أريحا بينما نرى المستوطنين (الإسرائيليين) يسرقون أرضنا استناداً إلى نصوص كهذه؟ وماذا عن الوعد لإبراهيم ونسله بأن يعطيهم أرض كنعان ميراثاً أبدياً؟»[16] ويسرد لاهوتي

STUDENTS-HUB.com

آخـر، هـو متـري الراهـب، مجموعـة مماثلة من الأسـئلة التـي كانت تقلـق جموع المسـيحيين الفلسـطينيين، والتـي باتـت تتعلـق بطبيعة الله ذاته، نحـو: «هل يعقل أن يكـون الإله المخلّص والمحب للبشـر إلهاً عنصرياً ومنحـازاً، إلهاً يفضّل قوماً على قـوم، ويميـز جنسـاً على جنس؟ هـل يمكن أن يكون الإلـه كلّي العدالـة إلهاً ظالماً مستبداً أو سفاحاً؟»[17]

وفي هذا السـياق، يؤكد الأب نعيم عتيق «أن اللاهوت السـائد في ذلك الحين لم يكن قادراً على الإجابة عن أسـئلة المسـيحيين الفلسـطينيين، ولم يكن مسـتعداً لمجابهـة الاسـتخدام السياسـي للعهـد القديـم وادعـاءات الأصوليـين التي تخص (إسرائيل).»[18] وعلى الرغم من أن الأمر لم يكن يخصُ الفلسطينيين وحدهم، كما يشـير الأب رفيق خوري، فإنه طالما تعرّض «الكتاب المقدس» تاريخياً لتفسـيرات ذات طابـع اسـتعماري «وهـي نفـس التفسـيرات الأيديولوجيـة التـي أتاحـت، في الماضـي، إلغـاء الهنـود الحمر في أميركا، واسـتعباد الأفريقيين فـي جنوب أفريقيا، وغيرهـا مـن المظالم.»[19] ومـع ذلك، فـإن المعضلة الدينية اللاهوتيـة التي عانت المسـيحية الفلسـطينية جرّاءها لم تقتصر فقط على قيام دولة الاستعمار الاستيطاني («إسـرائيل») علـى أرضهـم، بـل امتـدّت أيضـاً إلـى الدعم الـذي تلقته مـن الغرب المسـيحي المصهين، والذي بدأت تتلمسـه الكنائس الفلسـطينية، شـيئاً فشـيئاً، في علاقتها مع الكنائس الغربية.

لقـد واجـه اللاهوتيـون الفلسـطينيون تحدياً مضاعفـاً عندما تيقنـوا أن الغرب المسـيحي بات يتبنّى، وبكل صراحة، الخطاب الأسـطوري للحركة الصهيونية عن «الوطن التاريخي» للشعب اليهودي، ولـ«أحقية يهود العالم» بفلسطين على أساس «الوعـد الإبراهيمـي». وبقناعـة فحواهـا أن المشـكلة تكمن في اسـتخدام «الكتاب المقدس»، انطلق رجال الدين المسيحي هؤلاء في مسيرة نضالية تدافع عن قضيتهم وكتابهم، وقراءة «الكتاب المقدس» بعيون الأصلانيين الفلسطينيين، مؤسسين بذلك لما سموه «اللاهوت الفلسطيني المحلي» خطاباً مضاداً للخطاب الصهيوني بصورة خاصة، وللفكر الاستعماري بصورة عامة.

STUDENTS-HUB.com

وهكـذا، يمكننـا أن نرى، أن اللاهوتيين الفلسـطينيين واجهـوا تحدياً مضاعفاً عندما تيقنوا أن الغرب المسـيحي بات يتبنّى، وبكل صراحة، الخطاب الأسـطوري للحركة الصهيونية عن «الوطن التاريخي للشعب اليهودي»، ولـ«أحقية يهود العالم بفلسـطين» علـى أسـاس «الوعـد الإبراهيمـي». وهو الأمـر الذي لـم يتجاهلوه، بل انطلقوا في مسيرة نضالية تدافع عن قضيتهم وكتابهم في الآن ذاته. أمّا عدم مشاركة الكنائس الأرثوذكسية الشرقية في كتابة هذا اللاهوت، فيرجع في الأساس إلى عدم اتصالهـم واحتكاكهـم بكنائـس الغرب مقارنة بالكنائس مـن الطوائف الأُخرى التي تتبع اللاهوت الغربي.[20]

وفي هذا السـياق، يتفق معظم اللاهوتيين الفلسـطينيين[21] على أن اللاهوت الفلسـطيني المحلـي «واجـه، فـي المقـام الأول، التفسـير الكتابـي الأصولي الذي اعتمدته بعض الدوائر الإنجيلية، والمعروفة باسم الصهيونية المسيحية.»[22] ولذا، يعرّف الأب منذر إسـحق اللاهوت الفلسـطيني بأنه «قراءة (الكتاب المقدس) بعيون فلسطينية وتفسيره في السياق الفلسطيني. إنه التكلُّم عن الله ومع الله من قلب أرض الله. والتفاعل مع كلمة الله في الواقع الفلسـطيني شـعباً ومكاناً.» فهو ببساطة دراسة «(الكتـاب المقـدس) بنظـرة تربط ما يقولـه الوحي بواقـع أرضنا.»[23] ويضع الأب رفيـق خـوري النكبـة الفلسـطينية في قلب اللاهوت الفلسـطيني المحلـي مؤكداً أن «معظم القائمين على هذا اللاهوت كانوا هم أنفسهم، أسوة بعائلاتهم، ضحية الظلم الـذي حلّ بهم من جـرّاء النكبة.»[24] وعلى الرغم من أن اللاهوتيين الفلسـطينيين لا يتفقـون علـى بدايـات نشـوء اللاهـوت المسـيحي المحلـي فـي سـياق التجربة الفلسـطينية، نظراً إلى عدم وجود أرشـيف فلسـطيني لهذه الكتابات،[25] فإن تقديم تحليل سياسي – اجتماعي لهذا اللاهوت سيتم من خلال تعيين لحظتين تاريخيتين حاسـمتين، هما: انتفاضة الحجارة في سـنة 1987، وإطلاق «وثيقة كايروس – وقفة حق من أجل فلسطين» في سنة 2009.

في اللحظة الأولى، كانت سنة 1987 التاريخ الصفري الذي تأسس فيه خطاب اللاهوت المحلي الفلسطيني على الرغم من أن بعض اللاهوتيين الفلسطينيين يميل

STUDENTS-HUB.com

إلى الذهاب إلى تواريخ أسبق لتعيين نقطة البداية. أمّا هذه الدراسة، فتتخذ من سنة 1987 نقطة انطلاق عبر ربطها باندلاع انتفاضة الحجارة. فتقاطعاً مع الروح الوطنية العالية التي برزت في الانتفاضة، عُقد في سنة 1987 مؤتمر للاهوت المحلي في مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في بيت لحم بهدف بلورة لاهوت محلي في فلسطين، وتبنّى المؤتمر «الوثيقة الأساسية: اللاهوت والكنيسة المحلية» التي مثَّلت الكتابة الرسمية الأولى الصادرة عن هذا اللاهوت.[26] كما أدى الضغط من القاعدة المسيحية، التي كانت وقتها منخرطة فيزيائياً وروحياً في الانتفاضة، إلى دعوة الكنائس في فلسطين إلى التركيز على هويتها المحلية. وقد نتج من ذلك مطالبة هذه الكنائس بأن تكون رئاستها الكنسية من أبناء هذه الجماعات الكنسية بعد أن كانت فترة طويلة، بيد رجال دين غير فلسطينيين، وغربيين بصورة خاصة. وقد تُوّج هذا الحراك بتعيين روما في سنة 1988، ولأول مرة في تاريخ البطريركية اللاتينية، كاهناً عربياً فلسطينياً ليرعى هذه الكنيسة، وهو الأمر الذي تكرر لاحقاً في معظم الكنائس الفلسطينية.[27]

وشهد السياق العالمي تحولات مهمة مهدت لقيام اللاهوت التحرري المسيحي تمثّل أهمها بصدور عدة وثائق عن المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني (1962–1965) فتحت الباب أمام تشكّل وتطور ما أُطلق عليه، لاحقاً، اللاهوت السياقي الذي يسمح للكنيسة بالتبشير ابتداءً من واقعها المحلي. كما شهد هذا النوع من اللاهوت السياقي تطوراً لافتاً في أميركا اللاتينية في ستينيات القرن العشرين وسبعينياته، ونشأ في تجربة تاريخية لاحقة في جنوب أفريقيا اللاهوت الأسود الذي انخرطت من خلاله الكنيسة في مواجهة نظام الفصل العنصري.[28] وقد وفّرت تلك العالمية، بالإضافة إلى التحوّلات المحلية في السياق الفلسطيني المناخ الملائم لبدء جمع الكتابات المبعثرة الأولى التي أعادت النظر في تأويلات النبوءات التوراتية التي استخدمتها الحركة الصهيونية. وعندها، اتجه اللاهوتيون الفلسطينيون إلى توحيد جهودهم الفردية نحو اتخاذ موقف رسمي من تلك النبوءات، وانطلقت منذ ذلك التاريخ مسيرة تأويلية فلسطينية لنصوص الكتاب المقدس صدر عنها

STUDENTS-HUB.com

«لاهوت التحرر المسيحي».

وفي اللحظة الثانية، كان تاريخ سنة 2009 نقطة تحوّل تاريخي لاحق شهده لاهوت التحرر الفلسطيني مثّل انعطافة في الخطاب الوطني المسيحي المعاصر تحول في إثرها اللاهوت الفلسطيني من خطاب فكري إلى ممارسة فعلية. وقد كان الخروج بوثيقة «كايروس فلسطين: وقفة حق» إعادة تأكيد الحضور التاريخي للهوية الفلسطينية المسيحية كذات جماعية سياسية فاعلة، وكجزء لا يتجزأ من الهوية الوطنية الموحَّدة والموحِّدة للفلسطينيين. ففي الوثيقة ينسجم المكونان الوطني والديني على الرغم مما شهدت الوثيقة، في متنها، من بعض التجاذب بين المكونين، والذي ستتناوله الدراسة في القسم الأخير منها.

3. خطاب اللاهوت الفلسطيني كخطاب مضاد للمسيحية الاستعمارية وللصهيونية المسيحية

إن أحد أهم الأسئلة عن خطاب اللاهوت الفلسطيني وأكثرها مركزية هو السؤال المتعلق بكيفية تعامل هذا اللاهوت مع النصوص الدينية في «العهد القديم» التي استُخدمت لتسويغ الاستعمار الصهيوني. وللحقيقة، فإن هناك الكثير مما يمكن كتابته عن تقديم السكان الأصلانيين في جغرافيات متعددة لأمثلة من «الكتاب المقدس» ولدورها في اضطهادهم. فمثلاً، ينعكس نقد الأصلانيين في جنوب أفريقيا للكتاب المقدس، في القول المأثور الآتي «عندما قدم الرجل الأبيض إلى بلادنا كان يملك الكتاب وكنا نحن نملك الأرض. وقال لنا الرجل الأبيض: دعونا نصلي. بعد الصلاة، أخذ الرجل الأبيض الأرض، وأخذنا نحن الكتاب.»[29] أمّا رسالة السكان الأصلانيين في أميركا، والتي سلّمتها الحركة الوطنية للبابا يوحنا بولس الثاني في أثناء زيارته البيرو سنة 1988، فتظهر موقفاً أكثر حدّة، إذ جاء في بدايتها «إلى يوحنا بولس الثاني، نحن الأندنيين والهنود الأميركيين عقدنا العزم على الاستفادة من زيارتكم لكي نعيد إليكم كتاب[كم] المقدس، لأنه طوال خمسة قرون لم يقدم لنا الحب والسلام والعدل.»[30] غير أنه، في فلسطين، وبالنسبة

STUDENTS-HUB.com

إلى الأصلانية المسيحية، كان من الطبيعي أن تتخذ هذه العلاقة شكلاً أكثر تركيباً وتعقيداً، فهم، من جهة، أصحاب الأرض، ومن جهة أُخرى، أصحاب الكتاب.

كمنطلق أوّلي، يجدر التوضيح أن لاهوت التحرر الفلسطيني لم يدعُ إلى الاستغناء عن «العهد القديم»، لكنه وضع في المقابل جملة من المعايير والمبادئ التي يتم من خلالها تفسير النصوص الكتابية وتأويلها. أمّا المعيار الذي كان مركزياً ومشتركاً عند اللاهوتيين كافة، فهو التأويل والحكم على محتويات أي نص في ضوء فكرة المسيح، بمعنى أن «يسوع المسيح، في ذاته وتعاليمه، هو التأويل الصحيح والمفتاح لفهم الكتاب المقدس وما وراءه.»[31] ولكي يتحقق ذلك، فإن قراءة الكتاب المقدس يجب أن تكون محددة الاتجاه، إذ «يبدأ المسيحي الفلسطيني، مثل أي مسيحي آخر، بالمسيح ويعود إلى الوراء إلى العهد القديم، ثم إلى الأمام إلى العهد الجديد وإلى ما بعدهما. وتصبح هذه هي القاعدة الرئيسية للمسيحي.»[32] وأمّا مركزية المسيح في فهم «الكتاب المقدس»، فيفسرها البعض بأنها تعود إلى حقيقة أن المسيح «ليس فقط بمثابة تتمة وخاتمة للعهد القديم، بل هو في الوقت نفسه تتمة مجددة ومبدعة وتفوق العهد الذي سبقه.»[33] ويطلق اللاهوتيون على هذا النوع من القراءة مصطلح «القراءة المسيحانية» لـ«لعهد القديم» التي تتطلب أن يُقرأ «العهد الجديد» للتعرّف إلى شخص يسوع ورسالته، ثم في ضوء الإيمان بيسوع المسيح يُقرأ «العهد القديم». كذلك يؤكد بعض اللاهوتيين الفلسطينيين أن قراءة «العهد القديم» تتطلب مجموعة أُخرى من المبادئ اللاهوتية، أولها، هو الإيمان بأن الله هو إله جميع الشعوب، ولا يمكن أن يكون إلهاً لشعب واحد. أمّا ثانيها، فهو معيار العدل في تفسير النص الديني، فإذا قرأ أي شخص «الكتاب المقدس» ونتج من تفسيره النص ظلم ما، فإن هذه القراءة تعدّ باطلة. وأمّا المعيار الأخير، فيؤكد وحدة «الكتاب المقدس»، في عهديه القديم والجديد، والتي تفرض حقيقة أنه لا يجوز أن يُقرأ «العهد القديم»، كأن ليس هناك جديد.[34]

أمّا بشأن المعتقدات المتعلقة بموضوعات نصيّة محددة أهمها: أرض الميعاد وشعب الله المختار، فقد صاغ اللاهوت الفلسطيني نقداً عاماً لهذه المصطلحات

STUDENTS-HUB.com

بالارتكاز على الدور الأخلاقي والقيم الإنسانية الكونية. فمثلاً، يرى المتأمل في كتابات اللاهوتيين أنهم يقيمون علاقة وثيقة بين الصراع على الأرض والصراع على طبيعة الله، فيربط الأب نعيم عتيق نقده فكرة أرض الميعاد بسؤال: مَن هو الله؟ ففي مقابل الصورة الصهيونية التي أعادت تأكيد ما أعتقده اليهود في بداية تاريخهم أن «الله كان محصوراً ضمن حدود الأرض وأنه لا يعمل خارج أرضهم»،[35] والتي تنطلق من فهم ضيق للإله القومي، يتبنّى خطاب لاهوت التحرر الفلسطيني فهماً كونياً للإله، وهو الفهم الأصح من منظور الأب عتيق «ليس لأنه يناسب غرضي كفلسطيني، ولكن لأنه المفهوم الوحيد الجدير بالله – الإله الحقيقي. إنه يناسب طبيعة الله، الذي هو إله الجميع، شمولي في طبعه، عادل في كل طرقه.»[36] هذا، ويذهب الأب عتيق إلى تبيان أن الربط المباشر بين تقديس الأرض الناتج والمفهوم الضيق عن الله لم يكن مأساة الصهيونيين وحدهم، بل إن دروس التاريخ القديمة تعلمنا «أن من يركّز قلبه وعقله على الأرض سيكون ملعوناً، ويُلفظ خارجها. هذا ما حصل للصليبيين المسيحيين الذين وقعوا في هذا الفخ.»[37]

وهكذا، يُحطم اللاهوت الفلسطيني الحدود الضيقة لأرض الميعاد كما في التصوّر الصهيوني، ويضفي، في المقابل، عليها بعداً كونياً يمتد من الجغرافيا الفلسطينية ليشمل كل جغرافيات الأرض. فبربط أرض الميعاد بالفكرة الكونية عن الله ذاته، لا تعود أرض الميعاد «مجرد أرض كنعان، بل هي كل الأرض.»[38] ولأن وعود الأرض تُقرأ هي الأُخرى من خلال المسيح وتعاليمه في «العهد الجديد»، يرى الأب حنا كتناشو أن المسيح اليوم «هو مالك الأرض كلها، بالرغم من أن الله قد أعطاها لإبراهيم ونسله في الماضي. أمّا المسيح، فيمتلكها ليس لأنه الخالق فحسب، بل لأنه من نسل إبراهيم وفيه تتم النبوات.»[39] ويصر اللاهوتيون في معظم كتاباتهم على التذكير بقول المسيح «طوبى للودعاء، فإنهم يرثون الأرض» في إشارة واضحة إلى الشعب الفلسطيني وما تعرّض له من ظلم على يد الحركة الصهيونية، وذلك في إشارة إلى أحقية الشعب الفلسطيني بالأرض.

وبالإضافة إلى توسيع قدسية الأرض لتشمل الأرض جميعها، تقدم اللاهوت

STUDENTS-HUB.com

الفلسطيني خطوة مهمة إلى الأمام، فدمج بطريقة إبداعية بين الديني والوطني، وذلك لغرض الربط بين أرض فلسطين وشعبها، بمعنى أن أهمية الأرض تنبع «من أهمية شعب الأرض وشهادته، في الماضي وعبر العصور وحتى اليوم. فإذا سمى آباء الكنيسة، وبحق، هذه الأرض ‹الإنجيل الخامس›، فقد نادى متري الراهب بأن نعتبر الشعوب التي عاشت على هذه الأرض ‹الإنجيل السادس›.»[40] كما يرى الأب رفيق خوري أن عملية الربط العضوي بين أرض فلسطين وشعبها، تجعل من الشعب الفلسطيني ذاته «شأناً لاهوتياً».[41] أمّا نجاح هذا اللاهوت، فيعود في نظر خوري إلى قدرته على «إدراج الشعب الفلسطيني في تاريخ الخلاص»،[42] إذ تصدى لاهوت التحرر الفلسطيني للاهوت العنصري الذي صور تاريخ الخلاص، كما ثبتته الرواية الصهيونية واللاهوت المسيحي الغربي الداعم لها، تاريخاً عنصرياً أو رواية حصرية تُخرج أصحاب الأرض الفلسطينيين من التاريخ والجغرافيا، ومن رحمة الله. هنا، لم تعد رسالة الخلاص، ذاتها، محصورة في «بني إسرائيل»، بل توسعت لتشمل جميع شعوب الأرض أيضاً، بمن فيهم الشعب الفلسطيني.[43]

وعلى ذلك، يمكننا الاستنتاج أن أحد أهم إبداعات هذا اللاهوت لم تكن في مخرجاته العينية التي بُذل جهد كبير فيها لنقد النصوص الدينية، بل تكمن في الجمالية البلاغية واللغة الجديدة التي انبثقت من توحيد الهوية الدينية المسيحية بالهوية الوطنية الفلسطينية، إذ عبر الربط بين الأرض المقدسة والشعب الذي يحيا عليها، وبروح المسيح الفلسطيني، صنع الشعب الفلسطيني ألقابه الجديدة، فهو اليوم: «شأن لاهوتي»، وناسه هم «الإنجيل السادس».[44]

أمّا بشأن العلاقة المركبة بين الديانات الثلاث، فقد عاشت الديانتان المسيحية واليهودية في تعارض لاهوتي واضح وحالة خصام دائمة، إذ كان من المستحيل «الجمع بين اليهودية والمسيحية في عبارة واحدة، منذ قرن أو حتى نصف القرن.»[45] أمّا اليوم، فيشهد الغرب المسيحي انقلاباً كبيراً في تاريخ العداء لليهودية، ويشرح أحد اللاهوتيين الفلسطينيين أن المشكلة في هذا التراث الغربي «اليهودي المسيحي» أنها لا تقتصر على كونه يُستخدم للإشارة إلى «التفوق

STUDENTS-HUB.com

والتحيز»،[46] بل «يُستخدم هذا المصطلح لاهوتياً وضمنياً ضد الشعب الفلسطيني، وضمن سياق (صراع الحضارات) ضد الإسلام.»[47]

أيضاً هنا، يظهر بوضوح الفرق الشاسع في النظرة التقييمية للأنا وللآخر، ولشكل العلاقة مع الديانتين اليهودية والإسلامية وطبيعتهما بين المسيحية الغربية والمسيحية الشرقية، ويندهش البعض من حقيقة أنه «من المقبول اليوم في الغرب أن ننادي بأن المسيحيين واليهود يعبدون الإله ذاته. ولكن من غير المقبول أن نقول الأمر ذاته عن المسيحيين والمسلمين، هذا بالرغم من أن اليهود ينكرون الثالوث والصلب وحتى نبوية المسيح ذاته.»[48] ويجد هذا الرأي صداه في الاستنكار الذي يبديه الأب متري الراهب في كون هذا التراث الغربي اليهودي – المسيحي يُستخدم بغرض تدعيم كراهية الإسلام، ويدلل، في العموم، على أن للمسيحية الشرقية تفضيلاتها الخاصة في سياسات العلاقة مع الآخر. فبينما تذهب المسيحية الغربية إلى تثبيت تراث غربي «يهودي – مسيحي»، فإن التراث المسيحي الشرقي يبدو أقرب إلى تبنّي تراث «إسلامي – مسيحي». وبالنسبة إلى الهوية الفلسطينية، يظهر هذا بوضوح أكبر في الوثيقة الثانية لكايروس فلسطين، التي صدرت في سنة 2016،[49] والتي جاء في مقدمتها ما يؤكد أن المسلمين والمسيحيين على هذه الأرض لهم صفات مشتركة فـ«الشعب واحد والوطن واحد واللغة واحدة والتقاليد نفسها والهموم واحدة والمعاناة واحدة، والتطلُّعات واحدة. هكذا صُغنا التاريخ مجتمعاً واحداً وكياناً واحداً لا يقبل القسمة على اثنين.»[50]

لكن، من جهة أُخرى، فإن المسألة الفلسطينية المسيحية، ربما لا ترتبط بتراث إسلامي –مسيحي ينتظر أقوالاً أو شواهد تاريخية لإثبات وجود ما هو حاضر وبشدة، وإنما تتعلق بالقدر الذي استطاع فيه اللاهوت الفلسطيني أن يبلور شكلاً واضحاً للعلاقة الفكرية والعقائدية التي تربطه بالمسيحية الغربية ذاتها. ولعلنا نجد في مقالة الأب بولس ترزي بعض التباشير الواعدة فيما يتعلق بهذه المسألة. وتلك التباشير تحتاج بالتأكيد إلى المراكمة والبناء عليها، إذ في استغراق ترزي في البحث عن مفاهيم «الوعد» و«الأرض» في اللاهوت المسيحي، يلمّح إلى وجود تباين بين

STUDENTS-HUB.com

المسيحية الشرقية والمسيحية الغربية فيما يتعلق بمنظورهما لمفهوم التاريخ بعد يسوع المسيح. وفي هذا المقام، يشير الأب ترزي إلى أن المسيحية الغربية فشلت في فهم أن أعمال الله في التاريخ لا يمكن أن تكرر، وأنها لم تستطع أن تدرك طبيعة الحركة التاريخية الاتجاهية في «الكتاب المقدس». ففي حين تؤمن المسيحية الشرقية بأن التاريخ اللاهوتي خُتم بمجيء المسيح، فإنه لا يمكن تكراره أو العودة به مجدداً إلى الوراء، إذ إن الأهوال التي وقع فيها الغرب المسيحي، وضمنها المحرقة وإبادة السكان الأصليين في أميركا، تعكس فهماً مغايراً للتاريخ، فتلك الشرور ارتُكبت بسبب الافتراض المغلوط فيه أن التاريخ عند الله يعيد نفسه.[51]

وفي هذا السياق، ثمة طرح جريء يُقدّم فيه الأب منذر إسحق صورة مفصلة لمملكة المسيح التي سماها «مملكة الوداعة» نقيضاً للاهوت الإمبراطوريات. ففي معرض نقده اللاذع للاهوت الصهيونية المسيحية، والذي يلمح فيه إلى تباين صورة المسيح بين المسيحية الشرقية والمسيحية الغربية، ما يدل على أن الصهيونية المسيحية «استبدلت مركزية المسيح بمركزية ‹إسرائيل›. فبحسب لاهوتهم: ‹إسرائيل› هي مركز نبوات ‹العهد القديم› وليس المسيح.»[52] ولعل في هذا كله ما يفصح عن الذهاب إلى وصف هذا اللاهوت بـ«اللاهوت الإمبريالي» المرتبط بكل الإمبراطوريات والممالك التي أُقيمت في هذا العالم، وما يشكّل دعوة إلى ضرورة تحرير المسيح من الصورة التي حدَّدها له بعض مسيحيي الغرب، حيث المسيح يخدم الإمبراطورية ومصالحها فحسب، وهو ما يستوجب قراءة تطويبات «عظة الجبل» كوسيلة لتحدي تلك الصورة المشوهة لحقيقة المسيح.[53]

لا شك في أن المحتوى العام لخطاب اللاهوت الفلسطيني يتحدد بمواجهة تفسير «الكتاب المقدس» وفق التأويل الصهيوني، وأن المواجهة تأتي في أغلبيتها كمواجهة رافضة، وتذهب عند معظمهم إلى تبرير الرفض بالمآسي والكوارث التي سبَّبها هذا التأويل على أرضهم وشعبهم. أمّا البعض الآخر، مثل الأب رفيق خوري والأب نعيم عتيق والأب منذر إسحق، فنجح في الذهاب بخطوات إضافية نحو تفكيك التأويلات المصهينة وإنتاج تأويلات تحررية بديلة. وعلى الرغم من

STUDENTS-HUB.com

نجاح الفلسطينيين في صوغ لاهوت التحرر الفلسطيني كخطاب نقيض للخطاب الاستعماري، فإنه، وباستثناء مقولات الأب منذر إسحق، اقتصر على مشروع الاستعمار الصهيوني، من دون غيره. وفي الحقيقة، أن هذا اللاهوت استغرق في التفصيلات النصية الكتابية، ونجح في إنتاج مادة مهمة وغنية عنها، إلاّ إنه، ومع ذلك، لم يوفّق في وضع تلك المادة المنتَجة ضمن إطار معرفي واضح ومحدد يأخذ بعين الاعتبار التناقضات الفكرية – التاريخية، بحيث يحدّد ذاته ويميّزها بصورة واضحة من آخرها.

أمّا هذه الدراسة، فتجادل في أن عدم بلورة وعي واضح بشأن تباين المسيحية الشرقية، فكراً وممارسة عن المسيحية الغربية في تصورات هؤلاء اللاهوتيين، أضعف العديد من طروحاتهم الجريئة والمهمة، فقد أضعفها أحياناً الطرح غير المكتمل الذي يفشل في الوصول إلى مداه. ولعل هذه الإشكالية تظهر، بوضوح، في الكيفية التي تم من خلالها تحديد الآخر في كتابات اللاهوتيين التي اقتصرت على المسيحية الصهيونية، والتي كانت في نظرهم «المسيحية الداعمة للحركة الصهيونية»،[54] من دون أن يدركوا حقيقة أن اختلاف قراءة «الكتاب المقدس» لدى الفلسطينيين عن قراءة الغرب له، ليست حقيقة مستجدة أو طارئة ظهرت فقط بعد نشوء دولة «إسرائيل»، بل تعود إلى الحروب الصليبية التي شنها الأوروبيون منذ أواخر القرن الحادي عشر. وهكذا، فقد حصرت الكتابات اللاهوتية نفسها وحددت أهدافها في ضبط التحالف المسيحي الغربي مع الصهيونية، وفي التصدي لخطاب الصهيونية المسيحية، ومتجاهلة أن العالم الغربي نفسه حوّل المسيحية إلى استعمار. وقد ظهرت هذه الكتابات غير واعية، بالقدر الكافي ربما، ضرورة تمييز ذاتها الشرقية، كديانة حافظت على رسالة المسيح الفلسطيني الحقيقية الداعية إلى المحبة والسلام، والتي لا تعترف بحدود القوم أو الأمة، من المسيحية الغربية التي حوّلت هذه الرسالة إلى دين لتفوقٍ عرقي يدعو إلى الاستعمار والاستيطان وإبادة الآخرين باسم الله.

لكن، وعلى الرغم من القصور الذي يعتري اللاهوت الفلسطيني في تمييز

STUDENTS-HUB.com

الأنـا وتحديـد الآخر، فإن فكـرة اللاهوت ذاتها كانت الأرضيـة المعرفية التي انبثق منها، ولأول مرة في التاريخ المعاصر للقضية الفلسطينية، الموقف السياسي العلني للمسيحيين الفلسطينيين، الذي تجسَّد في وثيقة «وقفة حق – كايروس فلسطين» في سـنة 2009 والتـي سـنتناولها في المحـور التالي من هذه الدراسـة لتبيان كيف ألقى هـذا القصـور بظلالـه أيضاً على صوغ الأجزاء الأخيرة من تلـك الوثيقة، وخروجها في صورتها النهائية.

4. وثيقة «وقفة حق» - كايروس فلسطين سنة 2009

صدرت وثيقة كايروس فلسطين «وقفة حق» في 11 كانون الأول/ديسمبر 2009، وهي وثيقة أعدتها مجموعة من الفلسـطينيين المسـيحيين من مختلف الكنائس في الأرض المقدسـة، وقـد نُشـرت بعـد العمل عليها سـنتين. والوثيقة كلمة مسـيحية، كلمة «إيمان ورجاء ومحبة» من قلب المعاناة الفلسـطينية، يطالب فيها الفلسـطينيون المجتمـع الدولـي بوقفـة حق تجاه مـا يواجهونه من ظلم وتشـريد ومعانـاة وتمييز عنصري.[55] وهـي علـى حد وصف رفعت قسـيس، منسـق المبـادرة الوطنية التي انطلقـت باسـمها الوثيقـة «تحاكي في شـموليتها وثيقة الكايروس جنـوب الأفريقية الشهيرة التي أُعلنت في العام 1985، والتي شكلت انعطافة هامة في النضال ضد نظام الفصل العنصري هناك وعزله وسقوطه بعد سنوات قليلة من إصدارها.»[56]

ولأن الوثيقـة تـم صوغهـا من أقطاب الحركـة اللاهوتية الفلسـطينية، مع عدد من الشـخصيات الوطنية المسـيحية،[57] فقد انعكسـت الموضوعات الكبرى التي شـغلت اللاهوت الفلسـطيني طوال مسـيرة تشـكله، مثـل الوعد الإلهـي والاختيار وتاريخ الخلاص، وكذلك الاسـتخدام السـيئ لـ «الكتاب المقدس»، كرسالة مكثفة في معظم بنود الوثيقة. ويعتبر اللاهوتيون الفلسطينيون وثيقة كايروس فلسطين «من أهـم مـا صدر عن اللاهوت المحلي الفلسـطيني في السـنوات الأخيرة»،[58] وأنها «جاءت محصلة للنضج التدريجي للاهوت المحلي.... فكايروس – فلسطين ثمرة من ثمار هذا التطور.»[59]

STUDENTS-HUB.com

هـذا، ويتوافـق الخطـاب السياسـي للوثيقـة مع مـا تولّد من مجمـل الخطاب الرسـمي الفلسـطيني، بعد تخليـه عن الدولة الفلسـطينية الديمقراطيـة، مثلما جرى صوغهـا فـي الميثـاق الوطني الفلسـطيني فـي سـنة 1968.[60] غيـر أن المتأمل في الجوانـب السياسـية للوثيقـة يسـتنتج أن الخطاب السياسـي فيها يتجـاوز الكثير من الخطابات الرسـمية الفلسـطينية والعربية، ويتمثّل ذلك تحديداً بـ «انتقادها إسرائيل» وتحميلهـا المسـؤولية الأولـى عمّـا يحدث من ظلـم وقتل وتدميـر، وانتقادها دعم أميركا الأعمى لـ «إسرائيل»، وإصرارها على حق العودة للاجئين، وضرورة الإفراج الكامـل عن المعتقلين الفلسـطينيين، من دون قيد أو شـرط. كذلـك انتقدت الوثيقة الانقسام الفلسطيني، وأرجعت المسؤولية الأساسية عن هذا الانقسام إلى المجتمع الدولـي لمقاطعتـه الديمقراطية الفلسـطينية. كما أنها لم تتوانَ عـن نقد الذات ونقد مسـببي الانقسـام العبثـي. وتتجلى قمة الجـرأة في طلبها من كنائـس العالم مقاطعة «إسـرائيل» لإجبارهـا علـى الرضـوخ للشـرعية الدولية.[61] وفـي المحصلـة، فإن مجمل الطروحات في الجانب السياسي للوثيقة تعيد تأكيد تجذّر الهوية الفلسطينية المسـيحية تاريخيـاً، كهوية وطنيـة طالما كانت جزءاً أساسـياً من المسـيرة النضالية للشعب الفلسطيني.

تصـف الوثيقة في عنوانها الأول «الواقع» مظاهر الظلم والمعاناة التي يتعرّض لها الشـعب الفلسطيني جرّاء سياسات الاستعمار.[62] ثم تنتقل الوثيقة من الجانب الوصفي إلى نقاش موضوعات سياسية ولاهوتية، إذ يلي العنوان الأول أربعة عناوين رئيسية تظهر من خلالها اختلافات واضحة في الصورة التي تتفاعل الهوية الفلسطينية المسيحية فيها بين مكونَيها الوطني والديني. فبينما تظهر في القسمين الأول والثاني، المعنونَين «كلمة إيمان» و«كلمة رجاء»، معالم هوية فلسـطينية مسـيحية، يندمج فيها المكونان الوطني والديني لإنتاج ذات وطنية فاعلة مثالها المسيح الفلسطيني، تكاد الهويـة الدينيـة تطغى على الهوية الوطنية في القسـم الخامس مـن الوثيقة الذي جاء بعنـوان «المحبـة»، وصـولاً إلى ما يمكن وصفه بتشـوش واضح لمعالـم الهوية في القسم الرابع منها.

STUDENTS-HUB.com

في قسم «كلمة إيمان» يتم تأكيد عدالة القضية الفلسطينية بصفتها قضية مرتبطة في الأساس بوجود الشعب الفلسطيني كشعب أصلاني على هذه الأرض يسعى لاسترداد الحقوق السياسية والحقوقية التي انتزعت منه، فتقول الوثيقة: «وجودنا نحن الفلسطينيين، مسيحيين ومسلمين، على هذه الأرض ليس طارئاً، بل له جذور متأصلة ومرتبطة بتاريخ وجغرافية هذه الأرض، مثل ارتباط أي شعب بأرضه التي يوجد فيها اليوم.»[63] وفي هذا القسم كذلك تصوُّر للنكبة الفلسطينية أنها مظلمة يتحمل مسؤوليتها الغرب، إذ «أراد الغرب أن يعوّض عمّا اقترف هو في حق اليهود في بلاد أوروبا، فقام بالتعويض على حسابنا وفي أرضنا، حاول تصحيح الظلم، فنتج عنه ظلم جديد.»[64] كما تشدد الوثيقة في هذا القسم على حضور وعي وطني عميق يؤكّد القضية الوجودية التي تربط الفلسطينيين بأرضهم، إذ «إن صلتنا بهذه الأرض حق طبيعي، وليست قضية أيديولوجية، ولا مسألة نظرية لاهوتية فقط، هي قضية حياة أو موت.»[65]

يتفاعل المكونان الوطني والديني للهوية الفلسطينية المسيحية في الوثيقة من خلال أمرين: الأول، هو التحدي المزدوج الذي تواجهه الهوية جرّاء واقع الاستعمار، من جهة، وجرّاء استخدام هذا الاستعمار لكتابها المقدس لإضفاء صبغة شرعية عليه، من جهة أُخرى. ويظهر هذا بوضوح في القول «.... لأننا فلسطينيون نعاني من الاحتلال لأرضنا، ولأننا مسيحيون نعاني من التفسيرات المغلوطة لبعض اللاهوتيين.»[66] أمّا الأمر الآخر، فهو المقاومة المزدوجة التي استخدمت الهوية الدينية كعامل سياسي محرر للشعب الفلسطيني. ففي مقابل محاولة إلغاء الفلسطينيين واستبعادهم عن التاريخ الذي كتبه المنتصر، ترفض الوثيقة عمليات المحو التي تعرّض لها تاريخ الشعب الفلسطيني، وتصوغ ذلك بلهجة استنكارية، بالقول إن «الوعد بالأرض لم يكن يوماً عنواناً لبرنامج سياسي، بل إنه مقدمة لخلاص كوني شامل، وهو البدء بتحقيق ملكوت الله على الأرض.»[67] كما يظهر هذا التفاعل الخلّاق بين المكونين الديني والوطني للهوية من خلال بلورة خطاب سياسي ذي لهجة مسلّحة بأسس دينية، إذ تصف الوثيقة الاحتلال الصهيوني بأنه

STUDENTS-HUB.com

«خطيئة ضد الله وضد الإنسان؛ لأنه يحرم الإنسان الفلسطيني حقوقه الإنسانية الأساسية التي منحه إياها الله.»[68]

ولا تكاد فقرة في هذا القسم من الوثيقة تخلو من توجيه نقد لاذع إلى ادعاءات الصهيونية واللاهوت المناصر لها، ذلك اللاهوت الذي يدّعي «الحق الديني» على هذه الأرض. ويصر هذا النقد على وضع المسيح في صلب أي تفسير لـ «العهد القديم»، إذ تؤكد الوثيقة أن المسيح هو «الألف والياء والبداية والنهاية، فبنوره وبهداية الروح القدس نقرأ الكتب المقدسة.»[69] وبلهجة صارمة، موجهة إلى الجهات المسؤولة عن التفاسير الخطأ لـ «الكتاب المقدس»، تدعو الوثيقة «هؤلاء اللاهوتيين إلى تعميق الفكر في كلمة الله، وإلى تصويب تفسيراتهم، حتى يروا في كلمة الله مصدر حياة لكل الشعوب»،[70] ذلك بأن «أي لاهوتٍ يدعي الاستناد إلى الكتاب المقدس أو العقيدة أو التاريخ ليبرر الاحتلال، إنما هو بعيد عن تعليم الكنيسة.»[71]

أمّا في قسم «الرجاء»، فيستمر التفاعل المبدع بين المكونين الديني والوطني للهوية، وينعكس ذلك على الدور الذي يضعه المسيحيون الفلسطينيون لأنفسهم كلاعب سياسي أساسي في تثبيت الرواية الفلسطينية ونشرها إلى العالم أجمع، فتكتب الوثيقة أن من أهم علامات الرجاء «صمود الأجيال، واستمرار الذاكرة التي لا تنسى النكبة ومعانيها، وإيمانها بعدالة قضيتها.»[72]

لكن وعلى العكس، من قسمي «الإيمان» و«الرجاء»، يأتي قسم «المحبة» لتتغلب فيه الهوية الدينية على الهوية الوطنية، إذ على الرغم من تصريح الوثيقة بأن مقاومة الاحتلال واجب على كل مسيحي، وأن هدف المقاومة هو استرداد الأرض والحرية والكرامة والاستقلال، فإنها تقرُّ أن هذه المقاومة يجب أن تندرج ضمن رؤية الله الشمولية للإنسان. وبذلك تكتفي الوثيقة بخيار المقاومة السلمية التي تتبنّى، تلميحاً لا تصريحاً، خطاب حركة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها (BDS)، غير أنها لا تستخدم المصطلح ذاته، وإنما تستعيض عنه بالمقاومة «حسب منطق المحبة». ولذا، تصف الوثيقة المقاومة

STUDENTS-HUB.com

بأنهـا «مقاومـة مبدعـة، أي أنهـا تجد الطـرق الإنسـانية التي تخاطب إنسـانية العدو نفسـه.»[73] أمّا أسـاليب هذه المقاومة بحسـب مـا تحدده الوثيقة فهـي «ما تقوم به منظمـات مدنية فلسـطينية ودولية غير حكومية، وكذلك بعـض الهيئات الدينية، من دعـوة الأفـراد والمجتمعـات والدول إلـى مقاطعة اقتصادية وتجاريـة لكل ما ينتجه الاحتلال وسحب الاستثمارات منه.»[74]

أمّـا القسـم الأخيـر من الوثيقة فلا يمكـن النظر إليه إلاّ باعتبـاره نقطة الضعف الكبيرة التي تشوبها نتيجة طبيعة المهمة التي تحددت فيها، وهي توجيه كلمتها إلى فئـات متعددة، منها: الأخوة المسـيحيون؛ كنائس العالم؛ الأسـرة الدولية؛ القيادات الدينية اليهودية والإسـلامية؛ الشـعب الفلسطيني و«الإسـرائيليون». فباستثناء الجزء المتعلق بـ «كلمتنا إلى المسيحيين»، الذي يشهد مراجعة ذاتية مهمة تنتقد فيه الوثيقة فعلـيّ الصمـت والهجـرة لـدى الفلسـطينيين المسـيحيين، ورد فـي الوثيقة بصوت واضح «.... وقد نكون أفراداً، أو رؤسـاء كنيسـة، قد صمتنا في حين كان يجب أن يرتفع صوتنا لينديد بالظلم، ويشارك في المعاناة، [فهذا] هو زمن توبة عن الصمت، وعن اللامبالاة، وعن عدم المشاركة، أو لأننا لم نتمسك بشهادتنا في هذه الأرض، فهجرناها.»[75] وللحقيقـة، فـإن هـذا القول يعكـس وعياً متطوراً لدى المسـيحيين الفلسطينيين يدرك أهمية التعبير عن حضورهم السياسي – التاريخي، وذلك بالدعوة إلى رفع الصوت عالياً، ومحاربة ظاهرة الهجرة بكل ما أتيح من أدوات.

وعلى الرغم من قوة وتماسـك كل ما تقدم من بنود، فإننا، وعند الوصول إلى الخطاب الذي توجهه الوثيقة إلى الجهات الأُخرى السـابق ذكرها، نشـهد مجموعة مـن المطالبات اللبقـة والنداءات المهذبة التي تأتي في مجملها بلغة هادئة وعقلانية غارقـة فـي التجريـد والتعميم، تتكرر فيهـا مصطلحات ليبرالية، نحـو: «المصالحة» و«المحبة» و«الأمن» و«العدل» و«تحقيق السلام». وبالمقارنة بأقسام الوثيقة السابقة، نرصد هنا اختفاءً مفاجئاً للتحليل التاريخي الاجتماعي للقضية الفلسطينية لمصلحة ظهور ما يمكن تسميته «الحل المسيحي» الذي ليس إلاّ حلاً لاتاريخياً للقضية؛ حلاً فاقداً للصلة بالواقع بطبيعة الحال. وللحقيقة، إن هذا القسـم يكشـف عن المشـكلة

STUDENTS-HUB.com

التي تعاني جرّاءها الهوية الفلسطينية المسيحية، وهي المشكلة التي تظهر بجلاء عند معالجة مجموعة مركبة من علاقات القوة، وبصورة خاصة من موقعها في أدنى سلم علاقات القوة، إذ تصبح كمن يتكلم من اللاموقع، لتخرج بخطاب إنشائي يجنح نحو الطوباوية المسالمة.

لقد كانت «وثيقة كايروس فلسطين» الأكثر جرأة والأقوى تمرداً على الواقع، ومع ذلك، فإنها في اللحظة التي خاطبت بها مجموعة «الآخرين» ظهرت أقرب إلى ذاتٍ عاجزة عن تغيير الواقع، بينما كانت تطمح إلى تغييره. ومن أجل الوقوف على أسباب ذلك، لا بد من الحفر عميقاً في طبقات الهوية الوطنية عبر رصد العلاقة بين الأنا والآخر في سياسات الهوية كما وردت في الوثيقة. ومثلما يحيل عبد الرحيم الشيخ في دراسته إلى الهوية الثقافية الفلسطينية، تتحدد هوية الذات، الفردية أو الجماعية، بما هي وبما ليست هي، بمعنى أن الذات إنما تُعرف بنقيضها، وأن «(الأنا) في ماهيتها، علاقة، والعلاقة هذه دائماً مع (آخر) ما.»[76] وبما أن تعريف الذات يعني عزل الآخر عن جوهرها، أي تمييزه منها عبر رسم الحدود، فيتوجب الوقوف أمام سؤالين مركزيين، هما: ما هي «الأنا» في وثيقة وقفة حق، ومَن هو «الآخر»؟

أمّا الشق الأول من مسألة الهوية الوطنية، والمتعلق بسؤال «الأنا»، وبالعودة إلى السطر الأول من مقدمة الوثيقة، فإننا نجد أن الأنا في وثيقة حق، هي «مجموعة من الفلسطينيين المسيحيين.»[77] وبذلك، يقدّم مهندسو الوثيقة، وعددهم خمسة عشر شخصاً، أنفسهم كفلسطينيين أولاً، ثم كمسيحيين ثانياً. وفي الحقيقة أن هذه المجموعة تمثّل، من جهة، نهجاً شجاعاً لرفع الصوت الفلسطيني وتسجيله في وثيقة مكتوبة تخاطب العالم لأول مرة بوضوح لوضع القضية الفلسطينية ضمن مقولة أخلاقية عليا مثالها فداء المسيح وكلمته. لكنها، من جهة أُخرى، تضم، في المجموعة التي صاغتها، ثمانية رجال دين من طوائف وكنائس متنوعة لا يمثلون كنائسهم بصفة رسمية، إنما يحضرون بصفتهم الشخصية. وفي هذا الصدد، لا بد من القول إن مهمة بلورة مساهمة المكوّن المسيحي في الهوية الفلسطينية المسيحية يقع، بالدرجة الأولى، على عاتق المؤسسة الكنسية المحلية التي ينبغي لها أن تحدد

STUDENTS-HUB.com

«الأنـا» و«الآخر» وطبيعـة العلاقة بينهما، وتحديداً حين يكـون تعريف العلاقة بأنها علاقة صراعية بين مسـتعمِر ومسـتعمَر. وعليه، فإننا نسـتنتج، من دون عناء، أن هذا الصوت المسيحي الصرف، الصادر عن «وقفة حق»، كان في أمس الحاجة إلى تبنّيه وتقويته، بصفة رسـمية، من الكنائس الفلسـطينية قاطبة. ولو تم ذلك لانعكس على قوة خطاب الوثيقة وعلى أثرها في إحداث تأثير أكبر في الأوساط الكنسية في أنحاء العالم كافة.

وأمّـا الشـق الآخـر من مسـألة الهوية، والمتعلق بسـؤال «الآخـر» كما ظهر في «وقفة حق»، فهو دولة الاستعمار الصهيوني الذي يصارعه الفلسطينيون على الأرض والتاريـخ والثقافة.[78] لكـن الوثيقة، على الرغم مـن نضج خطاب لاهوت التحرر الفلسطيني حيال «الآخر» الصهيوني، لم تكن صارمة بما يكفي حيال بعض اللاهوتيين الغربيين الذين «انضبعوا» بالتفسـيرات الصهيونية لـ «الكتاب المقدس»، وتبنّوها في السـياق السياسـي – الاجتماعي – التاريخي الأوروبي الذي تحولت فيه المسيحية، منـذ تاريخ الحروب الصليبية، إلى مشـروع اسـتعماري. وبصيغة أُخرى، أقرب إلى العبارات التي استخدمتها الوثيقة: ألم تقتصر التفاسير الأصولية لـ «لكتاب المقدس» على الصهيونية المسـيحية وحدها، بل كانت كذلك في أصلها سياسـات استعمارية طغـت علـى التاريـخ الأوروبي الـذي طالما حـوَّل «الوعـد بالأرض» إلى مشـروع اسـتعماري قومـي؟ ولعـل الإجابـة عن هذا السـؤال تقود حتمـاً إلى أن المسـيحية الغربية لم تكن هي الأُخرى سوى «آخر» معادٍ للمسيحية الفلسطينية بصورة خاصة، والمشرقية بصورة عامة.

ولعل ما سبق يفضي بنا إلى الدعوة الصريحة إلى ضرورة فلسطنة الكنائس في الأرض المقدسة. وعلى قاعدة شرعنة الذات التحررية، عبر النفي المتواصل لذات «الآخر» الاسـتعمارية، فإن التشـوش الذي ظهرت فيه الهوية الفلسـطينية المسـيحية مردُّه في حقيقة الأمر ضعف المؤسسـة الدينية المسـيحية الفلسطينية، لا في قاعدتها المقاوِمـة ضمـن حركة التحرر الوطني الفلسـطيني، وإنما في عدم قدرة المؤسسـة الدينية الرسـمية على فك الارتباط بالكنائس الغربية.[79] وعلى ذلك، فإن الكنيسـة

STUDENTS-HUB.com

الفلسطينية اليوم مطالبة بأن تميز نفسها: أولاً، ككنيسة وطنية متجذرة في أرضها وملتحمة مع أبناء شعبها. وثانياً، ككنيسة مستقلة ومنفصلة بالضرورة عن الكنيسة الغربية. ولعل في ذلك كله ما يساهم في تفكيك المركزية الأوروبية الدينية، ودعم استقلال الكنيسة العربية.

5. خاتمة

في الوقت الذي بدأت مسيرة لاهوت التحرر الفلسطيني بمعالجة قضية استغلال الاستعمارية الصهيونية لـ «الكتاب المقدس»، وحققت إزاحة معرفية مهمة لسوء استخدام «العهد القديم» ونماذجه النمطية باختزال فلسطين، الأرض والشعب والحكاية، في كونها «معطاة» عبر «صك عقاري» إلهي لـ «الشعب المختار».... فإنها مطالبة اليوم أن تتجه نحو قضية مركزية أُخرى، وهي تطوير تاريخ عربي مستقل للمسيحية الشرقية في منشئها ورسالتها الأولى، الرسالة التي لم تكن إلاّ نقيضاً روحياً وإنسانياً للمسيحية الغربية المتواطئة مع استعمار الشعوب وقهرها من جانب حركات استعمارية عنصرية، كالحركة الصهيونية ودولتها «إسرائيل». ومع ذلك، لم يقتصر الدور المسيحي على إنتاج خطاب ديني مضاد، ولم يحصر نفسه في الحدود اللاهوتية وإنتاج التفسيرات النصية، بل تجاوز ذلك كله وأنتج وثيقة «وقفة حق» كايروس فلسطين في سنة 2009. وقد كانت الوثيقة، ولا تزال، بمثابة الحضور السياسي المعاصر للمسيحيين، والوثيقة التي رُفع فيها الصوت الفلسطيني المسيحي في العالم أجمع لغرض إنهاء المظلمة الفلسطينية، وبروح سياسية ولاهوتية وإنسانية جامعة.

لا شك في أن عملية بلورة الهوية الفلسطينية المسيحية من المؤسسة الكنسية المسيحية في فلسطين تتطلب أن تكف هذه المؤسسة عن ترددها وتلعثمها، وأن تضطلع بدورها الحاسم في هندسة هذه الهوية ووضع السياسات التي تحكم استكمال تشكّلها السياسي على قاعدة شرعنة الذات الأصلانية ونفي الآخر الاستعماري. ومن منطلق الوعي أن عملية استبعاد الصوت الفلسطيني المسيحي

STUDENTS-HUB.com

وإسكاته ليست إلاّ جزءاً من السردية الغربية الاستعمارية – التي طالما كانت لها المصلحة الكبرى في تغييب الفلسطينيين من تاريخ البلد من أجل إدامة تقسيمتها الثنائية للعالم، كغرب مسيحي – يهودي وشرق إسلامي – عربي – فإن من الضروري أن تلتحق السلطة الكنسية رسمياً بقاعدتها، وأن تتجه نحو فلسطنة الكنائس، بمعنى أن تميّز نفسها بصفتها كنيسة فلسطينية وطنية ومشرقية ترفض التبعية لكنيسة شرعنت احتلال شعبها وتسببت بمعاناته ونكبته المستمرة.

ومن ناحية أُخرى، وفي الوقت الذي تؤكد المسيحية الغربية في تحالفها مع الصهيوني معاداة المسلمين وتأسيس الاختلاف معهم في الحب والحرب، يؤكد مسيحيو الشرق ومسيحيو فلسطين علاقتهم الحميمة بأبناء بلدهم المسلمين، وبعمقهم الحضاري، بالإضافة إلى التعددية الدينية في العقائد التوحيدية التي كفلت على امتداد التاريخ علاقة تجانسية بين المكوّنات الدينية المحلية خلال فترات الحكم الإسلامي. وعليه، فإن التراث الغربي اليهودي – المسيحي، الذي يصر على عداوة المسلمين والمسيحيين المشرقيين، يجب أن يتم نبذه، وتدشين جبهة لمقاومته.

وأخيراً، ففي حين قاتلت المسيحية الغربية الاستعمارية والمصهينة بكل قوتها وثقلها من أجل تطويع المسيحيين العرب وإخضاعهم لها، فإن موقف الرسميّات العربية ليس أفضل حالاً، إذ يعتمد سياسة التهميش ذاتها من خلال الإصرار على تصوير الحضور الوطني المسيحي بطريقة فولكلورية تقتصر على الزيارات والمباركات في الأعياد والمناسبات الدينية. وبذا، فإن هذا الموقف يعكس الصورة الغربية، بشكل أو بآخر، للمسيحية الشرقية، من خلال التعامل مع المسيحيين كأنهم ضيوف على هذه الأرض المقدسة. ولعل هذا هو الأمر ذاته الذي يساهم في تفسير كون الصرخة التي أطلقتها «وثيقة كايروس» لم تنل حظها الكافي سواء في التغطية الإعلامية العربية، أو حتى الفلسطينية. ولذا فإن هذه الدراسة هي مساهمة أُخرى في إبراز أهمية تمتين الوجود المسيحي الفاعل، لا كمكوّن صميمي في الهوية الفلسطينية فحسب، فذلك أمر مفروغ منه، بل أيضاً في بلورة خطاب ثقافي

STUDENTS-HUB.com

مقـوّض لاسـتعمارية اللاهوت الغربـي الممركز أوروبيـاً والصهيونية التي اغتصبت اليهودية، وذلك عبر إبراز لاهوت التحرر الفلسطيني الذي يتخذ من الفدائي الأول، يسـوع المسـيح، مثالاً حياً لا يزال سـائراً على طريق الآلام، في مملكة المقهورين والمضطَّهَديـن علـى البرّ، في فلسـطين السـاعية نحو خلاصها وخـلاص العالم من الاستعمار.

STUDENTS-HUB.com

المصادر

1 مايكل برير، «الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني: أمريكا اللاتينية، جنوب أفريقيا، فلسطين»، ترجمة أحمد الجمل وزياد منى (دمشق: قدمس للنشر والتوزيع، ط2، 2004)، ص 23.

2 جورجي كنعان، «من يجرؤ على محاكمة الإله؟ الأدمغة الفارغة» (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2003)، ص 22.

3 منير العكش، «حق التضحية بالآخر: أميركا والإبادات الجماعية» (بيروت: رياض الريس، 2002)، ص 10.

4 انظر: إيللا شوحت، «كولومبس، فلسطين، واليهود العرب: نحو مقاربة علائقية لهوية المجموعة»، «الكرمل»، العدد 52 (صيف 1997)، ص 47–48.

5 سميح غنادري، «المهد العربي: المسيحية المشرقية على مدى ألفي عام والعلاقة المتبادلة مع الإسلام» (الناصرة: دار 30 آذار للنشر، ط4، 2011)، ص 24.

6 المصدر نفسه.

7 Gil Anidjar, *The Jew, the Arab: A History of the Enemy* (Stanford: Stanford University Press, 2003), pp. xii–xxii.

وانظر أيضاً: جيل أنيجار، «اليهودي العربي: تاريخ العدو»، ترجمة وتقديم عبد الرحيم الشيخ ورنا بركات، مجلة «الكرمل الجديد»، العددان 3–4 (2012)، ص 123–169.

8 لمزيد، انظر: كتابات جيل أنيجار التالية لعمله التأسيسي حول «اليهودي العربي»، وهي:

Gil Anidjar, «*Our Place in al-Andalus*»: *Kabbalah, Philosophy, Literature in Arab Jewish Letters* (Stanford: Stanford University Press, 2002); Gil Anidjar, *Semites: Race, Religion, Literature* (Stanford: Stanford University Press, 2008); Gil Anidjar, *Blood: A Critique of Christianity* (New York: Columbia University Press, 2014).

وانظر أيضاً: جيل أنيجار، «الدولة الانتحارية»، ترجمة وتقديم عبد الرحيم الشيخ. «إضافات»، العددان 43–44 (2018)، ص 218–242.

9 جبرا الشوملي، «المسيحية من الداخل» (رام الله: دار الرعاة للدراسات والنشر، 2020)، ص 8.

10 Laura Robson, *Colonialism and Christianity in Mandate Palestine* (Texas, Austin: University of Texas Press, 2011), pp. 1–3.

انظر أيضاً:

laura Robson, «Recent Rerspective on Christianity in Modern Arab World,» *History Compass*, vol. 9, no. 4 (2011), pp. 312–325.

11 منذر إسحق وآخرون، «مدخل إلى اللاهوت الفلسطيني» (بيت لحم: ديار للنشر، 2017)، ص 15.

STUDENTS-HUB.com

12 تم استثناء المكون اليهودي من الشعب الفلسطيني، لا من قبيل الإنكار لوجود يهود فلسطينيين في التاريخ الفلسطيني، أو العربي، وإنما لأن باتحاد هذا المكون مع الحركة الصهيونية، انفصل عن جسم الشعب الفلسطيني، وأصبح في صراع معه.

13 وسام الرفيدي، «السريان الفلسطينيون وازدواجية الهوية»، «مجلة الدراسات الفلسطينية»، العدد 114 (ربيع 2018)، ص 150.

14 إلياس خوري، «النكبة المستمرة»، «مجلة الدراسات الفلسطينية»، العدد 89 (شتاء 2012)، ص 41.

15 متري الراهب، «المسيحيون العرب وقضايا الأمة: متغيرات السياق والأدوار» (بيت لحم: ديار للنشر، 2013)، ص 66.

16 إسحق وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص 90.

17 الراهب، مصدر سبق ذكره، ص 66.

18 المصدر نفسه.

19 الأب رفيق خوري، «اللاهوت المحلي الفلسطيني (1967–2019) رؤية شاملة» (منشورات مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، 2019)، ص 206.

20 Elizabeth S. Marteijn, «The Revival of Palestinian Christianity: Developments in Palestinian Theology,» *Exchange: Journal of Contemporary Christianties in Context*, vol. 49, issue 3/4 (November 2020), pp. 257–277.

21 الأب رفيق خوري، الأب متري الراهب، الأب منذر إسحق، الأب نعيم عتيق، الأب جمال خضر، الأب بولس ترزي، الأب حنا كتناشو.

22 خوري، «اللاهوت المحلي....»، مصدر سبق ذكره، ص 155.

23 إسحق، مصدر سبق ذكره، ص 11.

24 خوري، «اللاهوت المحلي....»، مصدر سبق ذكره، ص 160.

25 الراهب، مصدر سبق ذكره، ص 34.

26 Marteijn, op. cit., p. 258.

27 Ibid., p. 263.

28 لمزيد عن نشأة وتطور اللاهوت التحرري في السياق العالمي، انظر: ياسر عسكري، «حكاية لاهوت التحرير»، مجلة «الاستغراب»، العدد 3 (ربيع 2016)، ص 183–211.

29 برير، مصدر سبق ذكره، ص 361.

30 المصدر نفسه، ص 109.

31 نعيم عتيق، «الصراع من أجل العدالة: لاهوت التحرر الفلسطيني» (بيت لحم: دار الكلمة، 2002)، ص 90.

32 المصدر نفسه.

33 إسحق وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص 98.

34 المصدر نفسه، ص 118–120.

35 عتيق، مصدر سبق ذكره، ص 115.

STUDENTS-HUB.com

36 المصدر نفسه، ص 116.

37 المصدر نفسه.

38 المصدر نفسه، ص 157.

39 حنا كتناشو، «أرض المسيح: صرخة فلسطينية» (بيت لحم: كلية بيت لحم للكتاب المقدس، 2016)، ص 71.

40 إسحق وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص 161.

41 خوري، «اللاهوت المحلي....»، مصدر سبق ذكره، ص 205.

42 المصدر نفسه، ص 206.

43 المصدر نفسه، ص 206–207.

44 الأناجيل الأربعة في العهد الجديد هي: متى ويوحنا ولوقا ومرقص. والأناجيل تحمل اسم اثنين من تلاميذ المسيح، هما متى ويوحنا، واثنين من تلاميذ بولس وبطرس. لوقا تلميذ بولس، ومرقص تلميذ بطرس. ولمّا جعل اللاهوتيون فلسطين الإنجيل الخامس، أضاف اللاهوتيون الفلسطينيون، إنجيلًا سادساً سموه «الشعب الفلسطيني».

45 جورج قرم، «شرق وغرب: الشرخ الأسطوري»، ترجمة ماري طوق (بيروت: دار الفارابي، الطبعة الثانية، 2017)، ص 202.

46 إسحق وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص 216.

47 Mitri Raheb, *Faith In The Face of the Empire: The Bible Through Palestinian Eyes* (New York: Orbis Books, 2014), p. 68.

48 إسحق وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص 216.

49 جاءت الوثيقة بعنوان «كايروس فلسطين: رسالة مسيحية إلى إخوتنا المسلمين».

50 وثيقة «كايروس فلسطين: رسالة مسيحية إلى إخوتنا المسلمين»، نشرت في جريدة «القدس» بتاريخ 28–2–2016.

51 إسحق وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص 168.

52 المصدر نفسه، ص 99.

53 المصدر نفسه، ص 218.

54 المصدر نفسه، ص 193.

55 خوري، «اللاهوت المحلي....»، مصدر سبق ذكره، ص 162.

56 إسحق وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص 28.

57 بالنسبة إلى رجال الدين المشاركين، فهم من أبرز مؤسسي لاهوت التحرر الفلسطيني، الذين نوقشت أهم كتاباتهم في المحور السابق من الدراسة. أمّا الشخصيات العلمانية فهم: جريس خوري، سدر دعيبس، لوسي ثلجية، نضال أبو الزلف، يوسف ظاهر، وأخيراً رفعت قسيس منسق المبادرة.

58 إسحق وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص 57.

STUDENTS-HUB.com

59 خوري، «اللاهوت المحلي....»، مصدر سبق ذكره، ص 163.

60 على النقيض من الخطابات اللاهوتية التي تربط بشكل غرائبي بين دماء إبراهيم والصراع الفلسطيني – الصهيوني ، دعا الميثاق الوطني الفلسطيني لسنة 1968 إلى تأسيس دولة فلسطينية ديمقراطية على أساس المفهوم العلماني لفكرة المواطنة من دون أي تمييز ديني، إذ يقطع مشروع الدولة كما يحددها الميثاق بشكل حاسم العلاقة الحميمية بين الدين والسلطة السائدة التي تم تثبيتها في الخطابات اللاهوتية الدينية المتعددة، عن فلسطين.

61 إسحق وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص 28–29.

62 «وثيقة كايروس فلسطين»، قسم «الواقع».

63 المصدر نفسه، قسم «كلمة إيمان»، 2–3–2.

64 المصدر نفسه.

65 المصدر نفسه، 2–3–4.

66 المصدر نفسه.

67 المصدر نفسه، 2–3.

68 المصدر نفسه، 2–5.

69 المصدر نفسه، 2–2–1.

70 المصدر نفسه، 2–3–3.

71 المصدر نفسه، ص 2–5.

72 المصدر نفسه، «قسم الرجاء»، 3–3–3.

73 المصدر نفسه، 4–2–3.

74 المصدر نفسه، 4–2–6.

75 المصدر نفسه، «كلمتنا لإخوتنا»، ص 5–2.

76 عبد الرحيم الشيخ، «الهوية الثقافية الفلسطينية ‹المثال› و‹التمثيل› و‹التماثل›»، في: «التجمعات الفلسطينية وتمثلاتها ومستقبل القضية الفلسطينية – المحور الأول: الفلسطينيون.. الهوية وتمثلاتها» (رام الله: المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية/مسارات، 2013)، ص 72. وانظر أيضاً: عبد الرحيم الشيخ، «القومية»، في: «أبجديات تحررية فلسطينية» (بيرزيت: معهد مواطن للديمقراطية وحقوق الإنسان، جامعة بيرزيت، 2021).
http://www.muwatin.birzeit.edu/ar/pea-/nationalism

77 «كايروس فلسطين....»، مصدر سبق ذكره، مقدمة.

78 الرفيدي، مصدر سبق ذكره، ص 152.

79 إن مرجعية طوائف متعددة داخل المسيحية الشرقية، كالكاثوليك والموارنة واللاتين، تقبع داخل المسيحية الغربية (الفاتيكان)، ناهيك عن أن مرجعية الكنائس الأرثوذكسية في فلسطين والأردن هي يونانية.

STUDENTS-HUB.com

المراجع

بالعربية

- إسحق، منذر وآخرون. «مدخل إلى اللاهوت الفلسطيني». بيت لحم: ديار للنشر، 2017.
- أنيجار، جيل. «اليهودي العربي: تاريخ العدو». ترجمة وتقديم عبد الرحيم الشيخ ورنا بركات. «مجلة الكرمل الجديد»، العددان 3–4 (2012)، ص 123–169.
- _____. «الدولة الانتحارية». ترجمة وتقديم عبد الرحيم الشيخ. «إضافات»، العددان 43–44 (2018)، ص 218–242.
- بريـر، مايـكل. «الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني: أمريكا اللاتينية، جنوب أفريقيا، فلسطين». ترجمة أحمد الجمل وزياد منى. دمشق: قدمس للنشر والتوزيع، ط2، 2004.
- خوري، إلياس. «النكبة المستمرة». «مجلة الدراسات الفلسطينية»، العدد 89 (شتاء 2012)، ص 37–50.
- خوري، رفيق. «اللاهوت المحلي الفلسطيني (1967–2019) رؤية شاملة». منشورات مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، 2019.
- الراهب، متري. «المسيحيون العرب وقضايا الأمة: متغيرات السياق والأدوار». بيت لحم: ديار للنشر، 2013.
- الرفيدي، وسام. «السريان الفلسطينيون وازدواجية الهوية». «مجلة الدراسات الفلسطينية»، العدد 114 (ربيع 2018)، ص 149–173.
- شوحت، إيلا. «كولومبس، فلسطين، واليهود العرب: نحو مقاربة علائقية لهوية المجموعة». «الكرمل»، العدد 52 (صيف 1997)، ص 38–52.
- الشوملي، جبرا. «المسيحية من الداخل». رام الله: دار الرعاة للدراسات والنشر، 2020.

STUDENTS-HUB.com

- الشيخ، عبد الرحيم. «الهوية الثقافية الفلسطينية (المثال) و(التمثيل) و(التماثل)». في: «التجمعات الفلسطينية وتمثلاتها ومستقبل القضية الفلسطينية – المحور الأول: الفلسطينيون.. الهوية وتمثلاتها». رام الله: المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية/ مسارات، 2013، ص 69–143.
- عتيق، نعيم. «الصراع من أجل العدالة: لاهوت التحرر الفلسطيني». بيت لحم: دار الكلمة، 2002.
- عسكري، ياسر. «حكاية لاهوت التحرير». مجلة «الاستغراب»، العدد 3 (ربيع 2016)، ص 183–211.
- العكش، منير. «حق التضحية بالآخر: أميركا والإبادات الجماعية». بيروت: رياض الريس، 2002).
- غنادري، سميح. «المهد العربي: المسيحية المشرقية على مدى ألفي عام والعلاقة المتبادلة مع الإسلام». الناصرة: دار 30 آذار للنشر، ط4، 2011.
- قرم، جورج. «شرق وغرب: الشرخ الأسطوري». ترجمة ماري طوق. بيروت: دار الفارابي، ط2، 2017.
- كتناشو، حنا. «أرض المسيح. صرخة فلسطينية». بيت لحم: كلية بيت لحم للكتاب المقدس، 2016.
- كنعان، جورجي. «من يجرؤ على محاكمة الإله؟ الأدمغة الفارغة». بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2003.
- وثيقة وقفة حق. «وثيقة كايروس فلسطين. كلمة إيمان ورجاء ومحبة من قلب المعاناة الفلسطينية»، 2009.
- وثيقة وقفة حق. «وثيقة كايروس فلسطين. رسالة مسيحية إلى إخوتنا المسلمين»، 2016.

بالأجنبية

- Anidjar, Gil. «*Our Place in al–Andalus*»: *Kabbalah*, *Philosophy*, *Literature in Arab Jewish Letters*. Stanford: Stanford University Press, 2002.
- _____. *The Jew*, *the Arab: A History of the Enemy*. Stanford: Stanford University Press. 2003.

STUDENTS-HUB.com

- _____. *Semites: Race*, *Religion*, *Literature*. Stanford: Stanford University Press, 2008.
- _____. *Blood: A Critique of Christianity*. New York: Columbia University Press, 2014.
- Marteijn, Elizabeth. «The Revival of Palestinian Christianity.» *Exchange: Journal of Contemporary Christianties in Context*, vol. 49, issue 3/4 (November 2020), pp. 257–277.
- Robson, Laura. «Recent Respective on Christianity in Modern Arab World.» *History Compass* , vol. 9, no. 4 (2011), pp. 312–325.
- Raheb, Mitri. *Faith In The Face of the Empire: The Bible Through Palestinian Eyes*. New York: Orbis books, 2014.
- Robson, Laura. *Colonialism and Christianity in Mandate Palestine*. Texas, Austin: University of Texas Press, 2011.

المواقع الإلكترونية

- الشـيخ، عبد الرحيـم. «القومية». في: «أبجديات تحررية فلسـطينية». بيرزيت: معهد مواطن للديمقراطية وحقوق الإنسان، جامعة بيرزيت، 2021.
http://www.muwatin.birzeit.edu/ar/pea/nationalism

STUDENTS-HUB.com